العراق
آداب الرافدين
العدد رقم 6
1 يناير 1975

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

حتى ثورة تموز عام ١٩٥٨

الدكتور عمر الطالب

ظهرت في الفترة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية إلى جانب قصة الرواية المكثفة القصة العاطفية والعوامل التي أدت إلى ظهورها في العراق في هذه الفترة عديدة . فقد كان لأدباء المهجر أثر كبير في نفوس القراء العراقيين ، فهم الذين حملوا لواء الثورة على القديم بعنف واصرار واستطاعوا أن يلائموا بين تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في موطنهم الأصلي والدوي الجديد والروح المرهفة التي استمدوها من عالمهم الجديد .

فكان من ذلك حصيلة أدب جديد (١) وقد أثر جبران بالذات ، ونظراته المتشائمة للحياة ورومانسيته المغرقة في عدد كبير من كتّاب القصة في العراق أمثال عبد المجيد لطفي وعبداللطيف الدليشي وغيرهما .

ولم يقل تأثير مصطفى لطفي المنفلوطي في القراء العراقيين والادباء ، على وجه الخصوص ، عن تأثير جبران خليل جبران فيهم . فقد تمكن اسلوبه في القلوب وأمسى أكثر الكتّاب قرأء وسر الذيوع في أدب المنفلوطي قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية باسلوب طلي وسياق مطّرد ولفظ مختار (٢) يضاف الى ذلك ما ترجم الزيات من روائع الأدب الرومانسي كـ (آلام فرتر) لجيته و (روفائيل) للامارتين وغيرهما من القصص الرومانسي .

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ١٨-١٩ .
(٢) انظر عبدالقادر حسن أمين (القصص) ص ٢١ .

وما نشرته الصحف والمجلات من ترجمات لهذا النوع من القصص وبالأخص ما نقل عن الفرنسية على أن الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ومع تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها جعلنا نرى في البيت الواحد أما بالعباءة وابنة سافرة وأن يتغير الولد تجاه والده ، وأن يبقى ظل المرأة باهتاً عند الطبقة المحافظة خلف أسوار البيت في المدن ، يضرب حولها الحجاب وينظر إليها على أنها مركز الخطيئة الى جانب امرأة تخرج للعمل مع الرجل أو فتاة تدخل المدرسة لتتعلم ، على أن هذا التطور كان متفاوت الأثر فقد برز في المدن أكثر من بروزه في الريف وتغلغل في الطبقات الارستقراطية والبرجوازية أكثر من تغلغله في الطبقات الشعبية والعمالية . وكان الأقطاع يدافع عن نفسه بحجج النضال السياسي والزندقة ولكن دون نجاح كبير سوى ما قد يتركه في كل صدر من هوة وقلق ، محاولا تثبيت الأوهام والخرافات البالية في النفوس وما من شك في أن اجتماع العوامل السابقة قد خلق الاتجاه الرومانسي في الأدب العراقي : وأعطانا كتاب القصة الرومانسيين زوجاً جديدة وفكراً جديداً ووقفوا من ظلم المجتمع لهم موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف المستمرد على هذا المجتمع لايحق لهم الرضى الفردي والاجتماعي . وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي ، وأبراز الفردية وجعلها مركز الرؤية بالنسبة للكون والانسان والحياة ، وكل ما يمت إليهم بصلة هو بالقياس إلى الفرد الرومانسي ذاتي ونسبي وترتبط هذه الفردية بالحرية التي أعتز بها الرومانسيون وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم وعن أحلامهم في سعادة حرمهم إياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة للوطن الذي يخيم عليه ظلام الاستعمار المقنع تقيده بقيود الذل والعبودية وامتزجت هاتان الدعوتان الى الحرية حرية الفرد وحرية الوطن — داخل نفوس الكتّاب امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها في مواجهة الاستعمار الغربي وساقوا على لسان أبطالهم صرخاتهم في سبيل الحرية المسلوبة التي كانت مكبوتة في هذه الفترة فإننا نلاحظ أنها لاتخفي ذوات كتّابها ، وإنما تبرزها

وتكشفها جزئياً أو كلياً متوسلة بضمير المتكلم الذي يظهر في صياغة رومانسية أحاسيس المؤلف ويدور محور القصة حول موقف شعوري واضح قد يقصر وقد يطول ولكنه لا يخضع لتخطيط معين ، وإنما يجري في حرية واسترسال يسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ، أي يتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون (١) وقد أثر الاتجاه الرومانسي في كتابات عدد كبير من القصصيين العراقيين مثل عبدالمجيد لطفي وذنون أيوب وصلاح الناهي ، واستمر في تأثيره بعد الحرب العالمية الثانية عند بعض القصصيين الذين سنعرضهم بعد ذلك في دراستنا للاتجاه الرومانسي المتأخر .

وقد كانت الرومانسية في هذه الفترة مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة لارتباط الكاتب العراقي بواقعه الاجتماعي ارتباطاً كبيراً وهذا هو السبب في قلة الأقاصيص التي تتحدث عن الحب والهيام ، وكثرة الأقاصيص التي تتناول مآسي الحياة ومسراتها . ومن الصعوبة بمكان أن نميز هذين الاتجاهين بصورة منفصلة عن بعضها في القصة العراقية القصيرة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية لأن القصصيين العراقيين تأثروا بعوامل واحدة وعاشوا ظروفاً متشابهة ، ولكن الفرق بين القصاص الواقعي والقصاص الرومانسي أن الثاني لم يستطع مجابهة الحياة بقسوتها وشدتها ولم يستطع تفهم المؤثرات باستيعاب وتعقل بل تملكه الفزع منها وهرب بعيداً عنها الى عالم الخيال ، فخلق منه عالماً خاصاً به واندفع وسط آلامه وأحزانه يجترها ويتفنن بها . وكأنه يُكفّر عن سيئات المجتمع وقسوته أما القصاص الواقعي فقد استطاع مجابهة الحياة وترصيد ظواهرها ودوافعها بعمق وإدراك وعرف مواطن ضعفها وعوامل قوتها ولم ينهزم أمامها ، بل ترصدها ودرسها عن كثب وسجل تأثيرها وانطباعها وإيحاءها . لذا نجد أن القصص الرومانسي في العراق قبل الحرب لم يستطع التخلص من تأثير الواقع لأن القصاص الرومانسي ، رغم جنوحه نحو الخيال ،

---

(١) قارن محمد مندور (الادب ومذاهبه) وصفاء خلوصي (الادب المقارن) . فصل الرومانسية .

ما تزال جذوره مرتبطة بالأرض ، مثال ذلك (نهاية) لذنون أيوب ، يعرض لنا فيها شيخاً في السبعين من عمره يحتسي الخمرة حتى يدمنها بعد موت زوجته التي كان يحبها حباً عظيماً ولا يجد ضيراً في ذلك ، فهو خير من (الشيخ مسعود) المرابي الثري الذي يؤدي الفرائض ولكنه يرهق الناس برباه ، وهو خير من (الشيخ صالح) الذي دعا الى غلق المدارس ، فهما وأضرابهما ذئاب يرتدون جلود الحملان ، ويمرض البطل ، وحين يعرض نفسه على الطبيب يخبره بدنو أجله . فتأبى عليه نفسه أن يموت كما يموت الناس العاديون ، فيشتري قارباً ويحمل به شيئاً من شراب وثقلاً يربطه برجله ، ودواء مخدراً يزرقه في جسمه ، تم تلك الميتة على هذه الصورة التي تجافي الواقع كل المجافاة . فالقصة رومانسية النزعة : موت الزوجة المحبة الوفية . اخلاصه لزوجته وعزوفه عن الزواج بعد موتها اكراماً لذكرها ، اغراقه الاحزان بالخمر والمخدرات ، أصابته بمرض عضال لا أمل في شفائه ، ميتته الغريبة في النهاية . ومع كل هذا الاغراق في الرومانسية نجد البطل — مرتبطاً بالأرض . فهو يحقد على الشيخ صالح لأنه يقف في طريق فتح المدارس ، ويكره الشيخ مسعود الذي يرهق الفقراء برباه . «ما قولك بالشيخ صالح الذي صرح علانية بوجوب غلق المدارس لأنها تبث الكفر وقتل كل من تسول له نفسه ارتكاب ما يسميه المحرمات ومقاومة كل ما يسمى تجدد أو اصلاحاً ، أترى ربه يسر من عمله هذا الذي يضعف شعباً بأسره ويجعله طعمة سائغة لكل مستعمر زنيم أو ظالم طاغية» (١).

وكذلك قصة سليم بطي (بنت الطحان) (٢) فهي قصة رومانسية تمتلىء بالعواطف والأحاسيس ، تعيش البطلة لأحزانها وآلامها بعد أن يمرض والدها ويصبح رجلاً عاجزاً مقعداً على أثر رفسة حصان ، فتستدعي أمها

---

(١) ذنون أيوب (صديقي) ص ٢١-٢٢ .

(٢) جريدة البلاد العراقية عام ١٩٤٣ ، مجلة الاديب ، العدد العاشر عام ١٩٤٦ .

قريبها (فرحان) ليساعد في تشغيل الطاحون ، فيتحين فرحان الفرصة للايقاع بالأم . ليبثها الحب تارة ويهددها أخرى حتى تسقط في حبائله . فيفرض سيطرته على البيت ومن فيه ، ويغازل الابنة التي تشعر نحوه باحتقار بعد أن عرفت قصته مع أمها ، وتخطب البطلة من قبل معلم يحبها ، فيقف فرحان في طريق سعادتها لأنه يريدها لنفسه ويهددها وأمها بفضح علاقته بالأم . ولم تفد معه التوسلات والدموع . الى أن ينتهي على يد الأب المقعد الذي يعرف كل شيء فيجذبه معه إلى بئر الطاحون ، ويموت الاثنان ويتصور الناس أن فرحان ذهب ضحية الأب عندما أراد انقاذه وهو يحاول الانتحار . فالقصة رومانسية النزعة . الأب الشاب القوي الذي يتحطم على أثر رفسة حصان لايمكن أن تجعل المصاب معقداً أعمى مشوه الوجه ، استدعاء القريب للمساعدة،شرور القريب .فهو لا يتحلى بخصلة خيرة واحدة، خائن عاهر مبتز حقير،وقوفه في طريق زواج متحابين مخلصين، نهايته على يد الأب في قاع بئر الطاحون تضحية الأب بحياته من أجل سعادة ابنته.ولكن هذه الرومانسية مشوبة بواقعية أيضاً، ضعف زوجة شابة لزوج معقد أمام قوة طاغية لشاب يفعل المستحيل في سبيل الوصول إلى ما يريد.خطوبة المعلم للابنة بمراسيم شائعة في المجتمع العراقي.خوف الابنة على سعادتها أن تهدم أمام تهديدات فرحـــــان .

وإلى جانب القصص الرومانسي المشوب بالواقعية نجد قصصاً واقعية ذات نزعة رومانسية أيضاً، فالقاصّ العراقي الواقعي رغم التصاقه بالأرض وترصده لمظاهر المجتمع العراقي.تـدفـعه عـواطفه الثائرة إلى الجنوح نحو الخيال أحياناً وابتعاده عن الواقع كما في قصة (نفنوف العيد) لأنور شاؤول من مجموعته (الحصاد الأول). تعدُ الأم ابنتها بثوب جديد بمناسبة العيد وكانت قد وعدتها به في العيد المنصرم ،أسرّتِ الأمُ الأمر إلى زوجها، فباع الأبُ ملابس ابنه الذي مات منذ سنتين ،والتي أبقاها للذكرى،كما باع خاتمه الفضي ذكرى خطوبته، واشترى الثوب لابنته. وعندما عاد إلى الدار أخبر بأنّ

زوجته في السجن لأنها همّتْ بسرقة قطعة قماش، وفي العيد لبست الفتاة ثوبها الجديد ،وذهبت لزيارة أمّها في السجن. الخط العام للقصة ــ واقعي الاتجاه ــ فهو يصوّر ما تعانيه الطبقةالفقيرة في العراق من ضيق وحرمان، ولكن اللمحات الجانبية أطرتّها رومانسية حزينة ،الطفلة ولهفتها إلى ثوب جديد في العيد ، ضيق ذات اليد، وعدم مقدرة الأسرة على تحقيق أمنية ابنتها الوحيدة، بيع الاب ثياب ولده المتوفى التي تحمل ذكرى مؤلمة، بيعه خاتم الزواج الذي يحمل ذكرى سعيدة ؛ سرقة الأم من أجل ابنتها قضاء الطفلة العيد في السجن وهي تزور أمها. أما كان الأجدر بالكاتب لو التزم الواقعية في قصته بأن يبتعد عن كل هذه المنعطفات ويجعل الأم تدبر أمر شراء الثوب مع الأب للتوصل إلى حل لهذه المشكلة ؟

ومثلها قصة (شرف) لذنون أيوب من مجموعته (ضحايا) ١٩٣٧ وتدور حول شاب يقتل اخته لأن أحد الناس طعن بشرفها أمامه وبعد أن يقتلها تثبت شهادة الطبيب بأنها عذراء ، فلا يجد الأخ طريقاً للتكفير عن خطيئته إلا في الانتحار . من الطبيعي جداً في العراق أن يقتل الأخ اخته غسلاً للعار بل قد أصبح هذا العمل عادة محبذة وتقليداً مقدساً يدفع فاعله الى مصاف الأبطال ، ولا تزال هذه العادة موجودة حتى الآن كما كانت قبل عشرات السنين . ولكن القصة لم تخل من خيال جامح كاقدام البطل على الانتحار لشعوره بتبكيت الضمير ، بل أن قتله أخته لمجرد أن يعيّره عدو له بأفعالها شيء غير طبيعي فماذا يحدث في مثل هذه الحالة في العراق ، يتأكد الأخ من الأمر فاذا ثبت له صحة ما قيل أقدم على قتل اخته والا فإنه يقتل المفتري على عرضه وما رسم الكاتب قصته بهذا الشكل إلا لإثارة عواطف القراء ضد هذه العادة المرذولة . ومن أبرز القصصيين الرومانسيين في هذه الفترة عبدالمجيد لطفي في مجموعته القصصية (أصداء الزمن) الصادرة عام ١٩٣٨ إذ عبر في رومانسيته الحزينة الشاحبة السلبية عن آلام نفسه وشقائها ؛ كان شاباً تحدوه آمال عراض ويصدمه واقع مرير ، وبين هذا وذاك سالت عبراته

وتلاحمت بين ظلمات نفسه ودجناتها بسماته . وتعد (أصداء الزمن) وسطاً بين الشعر والنثر ، والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب ، وان كان بأسلوب النثر . (١) وقد شغف بالأدب الرومانسي الذي كان يغذيه أدب المهجر ويمده بتيار من القوة والحياة لما كتب المنفلوطي وما ترجم الزيات . وكتاباته أقرب الى الشعر بما تحويه من عواطف فياضة وما يتناول من موضوعات . كما تركت أيام الشدائد والأحزاب في نفسه ألماً مكبوتاً ، وتركت مشاهداته الكثيرة آثاراً موجعة في نفسه كثيراً ما استطاع أن يعكسها بصدق وحرارة فيما كتب . (٢)

وتنقسم قصصه الرومانسية إلى قسمين ، قسم يُصوّر أحلام شاب يصدر عن ذات غائمة تنطلق في تخيلاتها السارحة إلى غير مصير . وتتحول القصة إلى تتبعات هائمة ، ومواقف في الشعور ضحلة وخواطر ومناجاة لا عمق فيها ولا أبعاد كما لا حظنا في (أصداء الزمن) . والقسم الثاني ، قصص الحادثة وهي أرقى من القسم الأول ويتعرض فيها لطفي لقضايا اجتماعية يهاجم فيها الظلم الاجتماعي والنفاق الاجتماعي والحواجز الاجتماعية . وقصصه لا تعكس الا الألوان القاجعة ولا توحي بغير المأساة ولا يرى في الحياة إلا جانبها الباكي المظلم ، فلا يعرف غير مناظر البؤس والألم والفقر . ولعل هذه الصور القاتمة للحياة اختمرت في حسه منذ الصغر وكانت أثراً من آثار نشأته التعسه الفقيرة . وهذا ما نلمسه في مجموعته القصصية الثانية (قلب لأم) الصادرة عام ١٩٤٤م . وطابع هذه الأقاصيص طابع اجتماعي يصوّر آلام الناس وأحزانهم . يروي بعضها بأسلوب الحكاية كما في (نهاية ذئب). وفي اقصوصته (قلب لأم) يتزوج الأب إمرأة ثانية هي إبنة شيخ دون أن تعلم زوجته الأولى من الأمر شيئاً . وحين تعلم بالخبر تمرض وعلى فراش الموت يطالب الزوج غفرانها فتفعل . أما الأسلوب فجاء بسيطاً ساذجاً لأنه مروي على لسان طفل ، وكان حديث

(١و٢) انظر جميل سعيد ، التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٠-٤٣-٤٥ .

الطفل لسذاجته البالغة لا يلائم فنية القصة .(١) وفي (طبيب الطبقة العليا) شعور انساني عميق رغم اغراقة في المبالغة والبعد عن الواقع حيث طلق الطبيب زوجته الارستقراطية لأنها عارضته في تكريس وقته لمعالجة المرضى الفقراء .

إن الشيء اللافت في قصصه هذه أنه يشعرنا أنها حقيقية نقلها كما هي في الواقع (٢) أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين بحيث يبدو أنه لا يكتب الا ما يعرفه عن الحياة أي ما توحي إليه به رغباته ومشاعره فلا يصف إلا ما يحسه ذاته ولا ينقل إلا ما يؤثر تأثيراً مباشراً في نفسه . بالطبع أن المادة الخام تنفصل عن الواقع الخارجي عندما تتحول إلى عمل فني ولا يمكن معادلتها به أو مناقشتها على أساسه ، ومع هذا فإن أقاصيصه تلك لم تصدر عن ذاتية اجتماعية موضوعية ، وان كانت غايتها اصلاح المجتمع .

بدأ عبد المجيد لطفي يجفو تلك السطحية التي لازمت كتاباته ليبدأصفحه لامعة من نتاجه القصصي في مجموعته (في الطريق) الصادرة عام ١٩٥٨م . والتي أطلق عليها اسم القصة الأولى .

وتأبى شاعريته إلا أن تظهر في كتاباته «أن الحياة الآن مترامية الأطراف وما أنا فيها إلا وحش ... احتضنتُ رأسي ، وغمرتني بقبلات حارة لم أجد أعذب وأصفى منها ... وقليلاً قليلاً أطبق العالم كله عليّ بأنياب حادة بيضاء ملوثة كريهة ،وهي تغادرني في القطيع الكبير لتموت وحيدة في وطنها في الشمال»(٣) أما باقي أقاصيص المجموعة فإنها تنحو نفس المنحى في تصوير البؤس والفقر والتشرد . في (الأديب الصغير) يحاول الأب الثري أن يشتري صحيفة شهيرة من أصحابها الفقراء ، ليشق ولده المتأدب مستقبله على صفحاتها ، ولكن أصحابها يأبون ذلك .

---

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٨٢ .

(٢) يقول لطفي في قصته (كالكلاب تماماً) : ثق بضميري أيها القارىء فأنا لم أزد على الحادثة حرفاً واحداً بل اني قصرت كثيراً في اعطاء الصورة الحقيقية لتلك الحادثة .

(٣) عبدالمجيد لطفي ، في الطريق ، ص ٥٨ .

يقارن الكاتب بين الحياة البائسة الشريفة التي يحياها العمال وحياة التبذل والاستهتار والنعمة التي يحياها الأغنياء ، ونلمس فيها روح ذنون أيوب الهادفة إلى التحرير وتجسيد الأفكار وخلق الوعي السياسي لا معالجة المشاكل الاجتماعية فقط . (١)

تطور لطفي في هذه المجموعة واستطاع أن ينفذ إلى ضمير الشعب يصور أحلامه وآلامه ومشاكله بعمق ودقة ، ونلمس تأثير قراءاته للأدب الغربي لا سيما الأدب الروسي . فالقصة عنده متأثرة بأدب تشيخوف حيث لا يلتفت إلى العقدة ونقطة التنوير . والقصة عنده قصة الأثر والانطباع لا قصة العقدة . وفي اقصوصته (فنجان) تحاول الزوجة أن تثني زوجها عن قيمة ومثله في الحياة ولكنها تفشل . وفي (دمعة محمود) تصوير لمأساة فلسطين ، تصف اللاجئين وآمالهم في العودة إلى الوطن السليب ولكن شخصية محمود جاءت مسطحة خالية من الأبعاد ، نموذجية مجردة لا حياة فيها .

عبدالمجيد لطفي كاتب شاعر ، على أنه في نثره أحسن منه في شعره وهو أحسن ما يكون حين يتحدث عن الحب وعن عواطفه الحزينة ، ومع أنه ميّال إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية الراهنة إلا أنه يضحي أحياناً بالفكرة من أجل الجمال الفني إذا اقتضى الحال وهو في هذا لا يقتفي أثر ذنون أيوب الذي يعتبر الفكرة أقدس من الجمال الفني .

ويغرق عبدالله حسن في الرومانسية عبر قصص مجموعته (أقباس الغرام) ١٩٣٨ : (رفيقة حياتي ، حادثة غرام في بومبي) ونستطيع أن نستجلي هذه السطحية عبر موقف من قصته (قصة غرام) «ثم لم تلبث أن وضعت رأسها في حجر الفتى وألقت بنفسها بين ذراعيه حتى أغمي عليها وأُغمي عليه وبينما هما في سكرات الإغماء ...» .(٢) .

ونجد فيها كثيراً من المواقف غير المناسبة «ولما انتهيت من ذلك السباب

---

(١) انظر كتابنا : الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، ص ١٠١–١٤٠ .

(٢) عبدالله حسن ، (أقباس الغرام) ص ٣٩ ، .

والشتائم نظرت إليّ بهيجة فرأيتها قد برقت أساريرها ووقفت كمن اكتشفت شيئاً جديداً ثميناً فخجلت من نفسي واعتذرت إليها وقلت : أرجوك المعذرة يا سيدتي على تفوهي بهذه الكلمات» .(١)

وتقف مجموعة فؤاد بطي (صيحات الفؤاد) ١٩٣٩ لتؤكد التصاق الكاتب العراقي بالواقع مهما نظر إلى السماء وأغرق في رومانسيته . تبيع الفتاة عرضها مقابل مبلغ زهيد لشراء دواء لوالدها وعندما تعود إلى الدار تفاجأ بموته في (ندوة) .

ويقص كامل بطل القصة في (شعاع أحمر) حبه لفتاة متعلمة تريد لها زوجاً متعلماً لا جاهلاً . وتعد قصة (هكذا نحن) أفضل قصص المجموعة فهي تحكي قصص ثلاث راقصات تقبض عليهن الشرطة متهمة إياهن بالدعارة . وتمتاز بروحها الفكهة حين تكشف عن جهل الشرطة . ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة للقصة العراقية آنذاك من ركاكة الاسلوب وشيوع الأخطاء اللغوية ، والتعليمية واطلالات الرأس لبيان رأي أو قول موعظة : «إنما باعت نفسها للحصول على اجرة العملية فما أعظم هذه النفس وما أقدس هذا الشعور» . (٢) ولكنه يمتاز بقدرة جيدة على إلتقاط الزوايا ، ويحسن حبك القصة بصورة فنية .

° ° ° ° °

وقد ضمت مجموعة (مآسي الحياة) ١٩٤٢ للياهو خضوري قصصاً مترجمة لموباسان والفونس دوديه وقصة واحدة من تأليفه (مأساة اجتماعية) وهي قصة مغرقة في رومانسيتها ، يحب البطل فتاة ، تزل الفتاة فيقتلها ثم ينتحر . ولا نجد في هذه الجموعة شيئاً جيداً غير سلامة اسلوب الكاتب وخلوّها من الأخطاء اللغوية .

° ° °

(١) عبدالله حسن، اقباس الغرام ص ٢٠ .
(٢) فؤاد بطي ، صيحات الفؤاد ، ص ٢١ .

وهكذا تضيع القصة ضمن إطار هذا الاتجاه وسط تأجج العواطف وانسيابها فليس هناك شخصية ولا حدث متكامل ولا فكرة ولا أي مقوم من مقومات الشكل القصصي ، هناك فقط هيكل عظمي تبرز عليه أحاسيس القلب الذاتية ويشف بصورة واضحة عن فقر الصنعة وضعف حرفية الشكل ، وهكذا تفقد القصة عندهم إطارها المحكم ولا يبتغون منها إلا ما تحمله من موقف شعوري يكشف عن طبيعة المضمون الحر ويزدحم بأحاسيس الذات المتضخمة ويفيدون من الواقع الخارجي ويبالغون في جوانب كثيرة منه، وتسقط القصة القصيرة عندهم في الشكل ويظهرهم هذا السقوط أنهم غير قادرين بوعي أن يتخلصوا من ذواتهم ككل رومانسي ليلاحظوا غيرهم ويبدأ الفنان في اليوم الذي يتخلص فيه من الفناء في ذاته ليرى سواه .

ونجد ضمن الاتجاه الرومانسي قصصاً تحليلية لا ترضى بالإنفعال السطحي السريع مثل كتابات عبدالوهاب الأمين في مجموعته القصصية (قصص في الأدب الحديث) الصادرة عام ١٩٣٧ والتي تعتمد على تحليل العواطف وتضخيم وتهويل الإنفعال أحياناً وتحريك الشخصيات لتنقل الأفكار و الإنفعالات كما في (ترنيمة الوداع) حيث نجد امرأة تندب أباها المتوفى بألم وحرقة بينما يتطلع حبيبها إلى مفاتن جسدها دون أن يشاركها ألمها ويسرف الكاتب في وصف مفاتن جسدها وينتهي بها الأمر إلى الزواج من غيره ، والحدث مستبعد وغريب ، إذ كيف تسنى لرجل أن يدخل داراً يقام مأتم ليتغزل بمحاسن فتاة مفجوعة بوالدها .(١) ولكنه أراد تصوير ضياع هذا الشاب ليصور فتاة عاتية أوقعت في شراكها صديقين ، تظهر لكل منهما أنها تحبه دون سواه ، إلى أن ينكشف أمرها وينفضا عنها . وهي اقصوصة جيدة اكتنفها الغموض ليساعد على تصوير ضياع الفتاة ثم يحدثنا عن شاب برم بحياته التافهة ، فأراد أن يقوم بعمل غريب يلفت إليه أنظار الآخرين ، كأن

---

(١) عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٩٥-٩٦ .

ينتحر أو يمارس نظم الشعر ولكنه لم ينجح في مسعاه ويسير على نفس الطريق في أقاصيصه الأخرى (من ليالي الضيم) و (حب مفاجيء) و (الخمور) وتتسم أقاصيص الأمين بتصوير القلق الذي يعانيه جيله وقد يورد صوراً يهدف منها العظة والعبرة ولكن بأسلوب غامض غير بيّن كما يعنى بوصف الجزئيات واختيار زوايا الرصد ، ويمتاز اسلوبه بالايحاء وقد يلتوي عليه الإفصاح أحياناً إلا أنه في الجملة قليل الأخطاء . وهو يختار موضوعات جزئية لم يتعود عليها القراء ويعدونها خطيئة لا تغتفر كأن يعقد علاقة حب بين بطل القصة وزوجة خاله في قصة (قصة من مذكرات مطوية) وهو حدث غريب يطرقه الكاتب لأول مرة في الأدب العراقي نجده بعد ذلك في مسرحية أدمون صبري (أديب من بغداد) . وقد ضمت مجموعته (ذباب) ١٩٥٢ ، خمس قصص مترجمة وقصتين موضوعتين فقط . نجد في قصة (الرجوع) شاباً متزوجاً وهو أب لأطفال لطفاء يعقد علاقة مريبة من إمرأة فاتنة لعوب ، يقرر في باديء الأمر تركها ويحرق صورها ، ولكن الصدفة تلعب دورها فيلتقي بها في السينما ويدرك مدى سيطرتها عليه ، يواعدها ، ويكذب على زوجته ، ويذهب للقائها ولكنه سرعان ما يحس بالندم فيعود أدراجه . وفي قصته (نكسة) تحليل جيد لشاب لاه لا يهتم لشيء غير ملذاته ، يشاهد بائعة يانصيب يدهسها الباص فينقلب فجأةً إلى انسان جاد . ويبدو أن الكاتب في اتجاهه التحليلي هذا قد تأثر بالأدب الغربي ولا سيما بالقصة الموباسانية .

* * *

ويشابه سليم بطي عبدالوهاب الأمين في نزعته الرومانسية التحليلية وقد نشر عدداً من الأقاصيص في الصحف المحلية وكان ينهيها في الغالب بفاجعة . وهو يميل إلى وصف الظلم الاجتماعي وتضخيم الأحداث ، والاعتماد على تحليل النوازع الانسانية في (ضحية) (١) يصور لنا منظر البؤس البالغ والقسوة

(١) جريدة البلاد ، العدد ٢٠٠ ، عام ١٩٣٠م .

التي انطوت عليها قلوب المترفين (١): تخرج الأم تستجدي المارة ولكن أحداً لم يمد لها يد العون . وتطارق باباً فيخرج إليها رجل ضخم الجثة وما أن تطلب منه إحساناً حتى يجتذبها إلى الداخل ويحاول أن ينال بغيته منها : فلم يستطع فيلجأ إلى ضربها حتى تستسلم في النهاية ، ثم يطردها دون أن يعطيها شيئاً بعد أن قضى وطره منها وتنتهي الاقصوصة بموتها جوعا هي وأطفالها . وقد حشيت الأقصوصة بوصف الحرب وما سفكت فيها من ماء (٢) ، وحاول الكاتب أن يؤثر على القراء عن طريق الوعظ والتهويل . وفي (ضحية رأس السنة) (٣) يصور لنا شقاء أم وكدحها طول النهار في الخدمة ، كي توفر القوت لوحيدها ، وفي ليلة رأس السنة تتأخر الأم في العودة ، فيخرج طفلها لمشاهدة مناهج العيد فتسحقه سيارة مسرعة وما ان تراه امــه حتى تفيض روحها . وفي أقصوصة (تقريع الضمير) (٤) يستمع الكاهن إلى المحتضرة المعترفة تقول له بأنها خانت زوجها (جوزيف) الذي أصرّ على الزواج من فتاة غنية ، وأثمرت خياناتها ابنتها فكتوريا التي تحب كمال ابن جوزيف ، وتطلب من الكاهن أن لا يسمح بزواجهما لأنهما أخوان ، وتنتهي القصة بلجوء فكتوريا إلى الدير تلبية لأمر القسيس . (٥) ونلمس في قصصه تأثير القصة الموباسانية أيضاً .

• • •

أما أقاصيص لطفي بكر صدقي التي نشرها في الصحف المحلية ، فهي تدور حول موضوع واحد ، الحب والخمرة ، وهو خير من مثّل الضياع الذي كان يحياه الفرد العراقي في عصره ، في تناقضه بين متطلبات العقل والقلب التي تحتمها الحياة وتحققها الحضارة الوافدة من الغرب وبين الواقع الذي كبل

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ص ٨٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .
(٣) جريدة البلاد ، العدد ٤ ، عام ١٩٢٠م .
(٤) جريدة البلاد ، العدد ١٣٣ ، عام ١٩٣٠م .
(٥) ويعد سليم بطي من أبرز كتاب المسرحية في العراق في العشرينات من هذا القرن .

الفرد بقيود ثقيلة من التقاليد والسيطرة الاجتماعية والاقتصادية التي يفرضها معيل الأسرة ، والتخلف السائد في جميع مناحي الحياة والوقوف بقسوة ضد الأفكار الحرة والتجديد . ويعود هذا الاتجاه بشكل أكثر تكاملاً ونضوجاً عند عبد الملك نوري وغانم الدباغ ومحمد روزنامجي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يوفق الكاتب في أن يخلع على أبطاله الحياة التامة التي تعج بالحركة والنشاط ، شخصيات ضائعة لا أبعاد لها ، وكأنه أراد ذلك ليخلق الانسجام بين الشخصية والحدث . في (جنون الحب) (١) يسرف البطل في الشراب ، وهو يجتر ذكريات حب . ويفشل الكاتب في نقل صورة واضحة المعالم عن ذلك الحب . ولكنه ينجح في تصوير ضياع هذا المحب لفشله في تجربة الحب القاسية تلك . وفي (نهاية حب) (٢) ينتحر البطل ، لأن الحبيبة طابت إليه أن يتركها ، لأنها متعبة ، وبعد ان تسمع البطلة دوي الرصاص ، وتلمح جسد حبيبها ، تحس بفجيعتها ، وفراغ حياتها . ويسير على نفس الاتجاه في أقاصيصه الأخرى مثل (صوت الحب) (٣) و (سكران) (٤) .

ويجد الدارس قصصاً تستحق الوقوف لقصاصين اعتمدوا في قصصهم لا على المضمون العاطفي فقط بل عنوا عناية كبيرة بالتحليل والاهتمام بفنية القصة . ولكنهم لم يجمعوا قصصهم في كتاب واحد فنجد أن يوسف متي اهتم منذ بداية الثلاثينات بنشر القصص في المجلات العراقية، مثل (ضحية العهد(٥) في القرية (٦)، الرسالة(٧)) ، وهي «لا تخلو من دقة تعبير ومن تحليل للعواطف يشف عن تفهم مبكر لفن القصة ، وتبشر بتطوره الأخير» (٨) ولكنها لا

(١) جريدة الإخاء الوطني ، العدد ١٨ ، عام ١٩٣١م .
(٢) جريدة الاخبار العدد ٤٣٥ ، عام ١٩٣١ .
(٣) جريدة السياسة ، العدد ٣٣٨ ، عام ١٩٣١ .
(٤) جريدة البلاد ، العدد ٤١٦ ، عام ١٩٣١ .
(٥) الحاصد السنة الثالثة ، كانون أول ، ١٩٣٠ .
(٦) الحاصد ، العدد ٣٣ السنة الثالثة ، آذار ١٩٣٢ .
(٧) الحاصد ، العدد ٢١ السنة الرابعة ، كانون أول ١٩٣٢ .
(٨) عبدالاله أحمد ، نشأة القصة تطورها في العراق ص ١٢٩ .

تخلو من عيوب القصة الرومانسية التي ذكرناها سابقاً . وظهرت امكاناته القصصية عبر قصصه (عاطفة جامحة) (١) حطام (٢)، سخرية الموت(٣) . في القصة الأولى يُصوّر لنا يوسف ،بي الحرمان الذي تعانيه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع هذا الحرمان مع صبي تطيل مداعبته وتحاول إثارته ولكنه لا يعي ما تفعل . وعندما يمرض الصبي تعوده (سعاد) بطلة القصة فتميل إلى الصبي مقبلة فيمنعها صارخاً ضجراً .

وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف بطلته وصراعها وردود فعلها (٤) «و اضطرمت ميول شاردة من العطف والشهوة والأمومة وانحنت في رغبة .. وألصقت شفتيها المرتجفتين بثغره الملتهب وراحت في قبلة راعشة تمتص الشفاه القرمزية امتصاصاً وألقت نظرة خاطفة على باب الغرفة ثم على وجه النائم وأحنت شعوزاً حزيناً يجذبها نحوه وداهمها شعور فاضح إلى الاضطجاع بجانبه وضمه إلى صدرها المضطرم ميولاً ورغبات وغمرته بلثماتها العذبة الحنون» . ونجد نفس المضمون في قصة (صراع) لشاكر خصباك من مجموعته التي تحمل نفس الاسم التي أصدرها عام ١٩٤٨ .

أما قصته الثانية (حطام)فهي تستبطن عواطف شاب لقي حبيبته ــ طالبة المدرسة سابقاً ــ في دار للبغاء يتمتع بها كل من يدفع الثمن «واستراح إلى الضرب وهاجت أعصابه وغلت دماؤه فمسك كتفيها وضغطهما بقوة وقسوة وامتدت يده على ثوبها فتمزق أعلاه وبرز نهداها الناضجان يضطربان على صدرها العاري .وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية المليئة فتنة وانتحابا .وتركها يشيعه نشيجها المتقطع العالي مع شذى عطر الياسمين » ونجد أن الفتاة لاتستنكر مهنتها بل تتعامل معه كما يتعامل صاحب المهنة الذي يحترم مهنته .ونجد هذه

---

(١) الحاصد السنة الرابعة ، العدد الثاني ، ١٩٣٤ .
(٢) مجلة عطارد ، العدد الاول ، السنة الاولى ، آب ١٩٣٤ .
(٣) مجلة الحاصد ، العدد ٤٢ السنة الثالثة ، أيار ١٩٣٢ .
(٤) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ٤٣ .

النظرة في قصة (ساقطة) لذنون أيوب من مجموعته (الضحايا) ١٩٣٧ .وهي نظرة جديدة وجريئة بالنسبة للفترة التي كتبت فيها القصة . «وقد استطاع الكاتب أن يصور مشاعر بطله ببراعة ،مستخدماً كل الأدوات التعبيرية في الفن القصصي فهو لايقتصر على استخدام السرد والحوار في الكشف عن شخوصه ،بل يحاول رصد الحركة والفعل واستخدام اسلوب التداعي والذكريات ليسلط أنوار التحليل الساطعة على نفسيات شخوصه (١)

أما قصته الثالثة فتنزع إلى تحليل عواطف أب يتألم لمرض ابنه .هولا يكتفي بالالم العاطفي بل يحلل عواطفه تجاه ابنه ،مرضه ،موته ،علاقته به .وقد أجاد الكاتب في هذا التحليل ونجد شبها بينها وبين قصة (قاعدة البرج) لذنون أيوب من مجموعته (برج بابل)١٩٣٩ .« لقد اهتم يوسف متي برسم الظلال التي تعمق من الحدث وتزيد من الأثر الذي يتركه جو القصة المشحون واستخدم المطر استخداماً موفقا .فالمطر يهطل حين كان الأب يعاني أفكاراً متضاربة تجاه ابنه ويكف عن الهطول حين تستقر أفكاره على أمر معين ثم يعود الى الهطول وبشدة ،حين يكتشف الأب موت طفله .. كما أن استعانته بالمؤثرات الخارجية في النهاية لتزيد من عمق الاحساس بالمأساة موفقة ناجحة»(٢) إن الاتجاه التحليلي الذي ظهر عند يوسف متي تبلور بعد ذلك عند نزار سليم وعبد الملك نوري وفؤاد التكرلي (٣) وغانم الدباغ في خمسينات هذا القرن.

وقد اتجه يوسف مكمل ضمن الاطار الرومانسي إلى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية .ففي قصة (القطرات الاولى) (٤) يصور لنا الكاتب عواطف رجل أحب فتاة فرنسية عندما كان هناك ،فيقرر الذهاب لزيارتها وعندما يصل باب دارها يسمعها تغني

(١) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١١ .
(٢) عبدالاله أحمد ، نشأة القصة وتطورها في العراق ، ص ١٦٩ .
(٣) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .
(٤) مجلة الحاصد ، كانون الاول ، ١٩٣٥ .

تلك الأُغنية التي كانت قد غنتها له في مامضى من الزمن ،فيقصر عن طرق الباب لأنه اعتقد بأنها تغني هذه الأُغنية لزوجها وقد اكتنفتهما السعادة كما كانت تلفهما في الماضي –هي وهو–« نجد القاص في رسم شخوصه وفي تصوير العالم الداخلي لهذه الشخوص يعتمد على التصوير الخارجي المباشر . وفي هذه القصة نلمس البذرة الاولى لهذا الاسلوب الذي كان يهدف آنذاك إلى انتشال القصة العراقية من براثن السرد التقليدي ومن النزعة التعليمية التي طغت عليها » (١) ولم يتبلور هذا الاتجاه الا في نهايات الستينات من هذا القرن عند سرجون بولص ومحمد خضير ومحمد مل عارف (٢).

الرومانسية المتأخرة :

عرضنا في القسم الاول من هذا البحث العوامل التي أدت الى ظهور الرومانسية في القصة العراقية وسماتها المميزة لها . وقلنا أنها رومانسية مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة . . ونحن نلمس أثر هذا الاتجاه في القصة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يكن السبب الوحيد في استمرار ، كثرة القصص المترجم عنها واهتمام الصحف والمجلات العربية والعراقية بنشر هذا النوع من القصص والاتصال الفكري والثقافي بين العراق والعالم الغربي من جهة ، والعالم العربي من جهة أخرى ، ولا إغراق السوق الادبي بنتاج القصصيين الرومانسيين المتأخرين من العرب أمثال محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهما فحسب . فقد وجدت الرومانسية ، نفسها على وفاق مع روح البلاد وأعطت العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وعاطفة الشعب المفرطة والاحداث المتأزمة المتتابعة في العراق : كالانطباع المأسوي الذي تركته الحرب في النفوس والآلام الانسانية التي سببت الحرب والخوف من المجهول الذي ولدته القنبلة الذرية ، ومأساة

---

(٤) شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٥) شجاع العاني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢–١٠٣ .

فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي ، والثأر للكرامة العربية المهدورة عام ١٩٤٨ ، وثورة يوليو عام ١٩٥٢ والانتفاضات المتوالية في العراق ومأساة العدوان الثلاثي ، وحلاوة الفوز والانتصار عام ١٩٥٦ ، كل ذلك مجتمعاً أعطى الاتجاه الرومانسي أرضاً صالحة ملائمة.

عرفت القصة العراقية التمزق الطبقي ، وقد أعطانا كتاب القصة الرومانسيين روحاً جديدة ، وفكراً جديداً ، ووقف أكثر القصصيين من ظلم المجتمع موقف الشكوى، بل وقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع بتحقيق الرفاه الفردي والاجتماعي .

واذا رجعنا إلى القصص الرومانسي الذي كتب في هذه الفترة ، نلاحظ ان القصة لا تخفي ذوات كتابها ، وانما تبرزها وتكشفها جزئياً أو كلياً . ويدور محور القصة حول موقف ، أو أحداث غريبة تعتمد على المصادفات المدهشة والنهايات المفاجئة . ولكنه هنا وهناك لا يخضع لتخطيط معين ، وانما يجري في حرية وفي استرسال ، يسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ويتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون ويضعف الفن القصصي بين الشكل الحر والمضمون الحر ، ولا نستطيع أن نقول عن ذلك الشكل الحر أنه شكل من أشكال القصة القصيرة الفنية أنه في منزلة بين المقالة وبين القصة ، ففيه خصائص المقالة من حرية في الاسترسال وقلة العناية وفيه من القصة بعض حوادث السرد ورسم شخصيات وسير الاحداث ، وان جاءت هذه الاحداث بعيدة الوقوع في مجتمعنا . تعتمد على المصادفات والمفاجآت والغرائب .

واستمر هذا الاتجاه إلى مابعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير الصدمات النفسية التي عاناها الشعب العراقي والتي دفعت بعض أدبائه المبتدئين في مضمار كتابة القصة القصيرة المسحوقين تحت عجلات المجتمع الثقيلة والمكبلين بقيود عاداته وتقاليده القديمة أن ينفروا من الواقع وينصرفوا عنه فالتفت فريق إلى

الطبيعة يبثها شكواه من الحياة ورغبته الجامحة في التنفيس عن مكنونات نفسه وعكف فريق آخر على ذاته يردد أحاسيسها ،وفريق ثالث يخلق عالماً مليئاً بغرائب الأحداث ومصادفاتها ،وفريق رابع يحاول أن ينسى آلامه بتحطيم القيود الثقيلة وطلب الحرية لنفسه ولابناء قومه .ويسبح في خيالاته بأجنحة ملائكية.

واصطبغت الرومانسية المتأخرة في العراق كسابقتها بطابع الحزن والكآبة وابتعدت عن الواقع ولم يستطع أدباؤها أن يخلقوا من الالم العظيم أدباً عظيماً.

وسار في الاتجاه الرومانسي عدد كبير من كتاب القصة المبتدئين ونسجوا على منوال الكتاب الرومانسيين العرب ،فعبد اللطيف الدليشي في مجموعة (غرام في الريف) الصادرة عام ١٩٤٥م مثل واضح للرومانسية بخيالها الجامح وأحداثها الغريبة وجوها القاتم المظلم ونهاياتها الحزينة ،وتسطح شخوصها واتهامها المجتمع وتقاليده بالوقوف أمام الحياة السعيدة التي يجب أن تعاش وبطلاوة لاسلوب واعتماده على الخيال الجامح والعواطف المتدفقة والعبارات الملونة الجميلة .

في أقصوصة (أحلام الشباب) يبادل (أياد)الطالب الفقير (ثريا) الفتاة الغنية الحب الا أن الأب يقف حائلاً دون سعادتهما ،فتموت (ثريا) حين يزوجها والدها من رجل غني لاتحبه ،وينتحر أياد .

ويقف المرض حائلاً بين سعادة زوجين متحابين فيموت الأب بعد إنجاب ابنته التي لاتجد أباً يحنو عليها في (غرام في الريف).

وتتشابك الأحداث وتتسع رقعة الزمن في (الشهادة) ويفصل (اياس) من عمله لأنه لايحمل شهادة عالية ،ويعمل في صحيفة ويبرز في عمله وتقع في حبه (لمى) زوجة صديقه وتأبى عليه شهامته الخيانة فينتحر العاشقان .

ومجموعة (دماء ودموع)لفتاة بغداد الصادرة عام ١٩٥٠ ،أقرب إلى القصة الطويلة لسعة رقعة الحدث وزمانه ومكانه مع رومانسية مغرقة حيث تبيع الأخت دمها لتعول أخاها المريض في مصح من مصحات لبنان ويرتاب الأخ الشك في سلوك أخته فيقتلها وحين تنكشف الحقيقة يصاب بالجنون .

وفي بائعة الأطفال تأوى الأم إلى جامع بعد وفاة زوجها حيث يسرق أطفالها الصغار وتصاب بالجنون .

وتسيل الدماء كتدفق العواطف العنيفة في مجموعة جعفر الشيخ علي (آلام وآمال) الصادرة عام ١٩٥٣ م . ويقتل اللقيط بتحريض من زوجته (امرأة ولقيط) .

ويتزوج الأب من حبيبة ابنه (غرام الشيخوخة) ، وتقتل الزوجة زوجها أثر خلاف بسيط (صريع المادة) . ونجد في مجموعة (قصص واقعية) لخضر عباس عام ١٩٥٨ م أحداثاً غريبة ، يقتل شاب فتاة قريبة الشبه بخطيبته التي خانته وينتهي إلى مستشفى المجاذيب (لحظة لقاء) . وينتحر العاشقان حين يصر أهل الفتاة على تزويجها من رجل غني (حفلة زفاف) ويقتل الزوج زوجته وبناته ظناً منه أنهن فاجرات ويقاد إلى المشنقة وهو سعيد (ضحية الجهل) . ويشعر القارىء في قصص عبداللطيف الربيعي في مجموعته (وفاء البؤساء) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، بأنه في عالم يخلقه الكاتب . ليس هو عالمنا الذي نحيا فيه وليس لأهله قوانيننا وعاداتنا وإنما ذي قوانين مستمدة من عالم الكاتب الذي خلقه وخلق أبطاله . يتجولون فيه ويفعلون ما يحلو لهم .(١)

ويبدو أن عناوين الأقاصيص اخترعت قبل أن توضع القصص على الورق ؛ فيدفع حب العنوان الكاتب إلى اختراع صراع رجل مع فتاة يريد أن يغتصبها وحين يفشل في اغتصابها يخرج خنجره ليطعنها .

وقد اقتبست أفكار بعض الأقاصيص من واقع الحياة الغربية كـ (ذهبت بلا دعوة) حيث يوقف — البطل — حياته على دراسة الطب بعد موت حبيبته بمرض السل .

أما بؤس الحب والنهايات الفاجعة والقتل والانتحار في سبيل الحب فوسيلة من وسائل انهاء قصصه .

---

(١) انظر داود سلوم ، الادب المعاصر في العراق ، ص ٩٤ .

ويعالج فاضل جاسم الصفار مجموعته (آمال وآلام) الصادرة عام ١٩٥٦ موضوعات ذات أحداث لاحظ لها من الواقعية . وحين يعرض لنا أحاديث شخوصه نشعر شعوراً أكيداً أنه لايتكلم بلسان الواقع وإنما يخلق الشخوص وينطقهم كما يشاء لاكما تشاء ظروفهم وطبيعة حياتهم . بما يبدعه خياله من أساليب تختلف خشونة وسلاسة ، وبأفكار قد لاتدور بخلدهم وبألفاظ لاتستعمل في جملنا وتعابيرنا ونحن نتخاطب بعضنا مع بعض . (١)

ويحتوي كتاب (ليالي ملاح) لمليحة اسحيق على قصص غير ناجحة وانطباعات وتأملات . وكل ما يقال فيه أنه أشبه بدفاتر الإنشاء التي يحتفظ بها الناشئون . (٢) وأقاصيص تدور حول المرأة .: تسقط الطائرة بزوجها وتعيش لدموعها (من آهات القصور) .وأخرى يتركها زوجها إلى زوجة صديقه (من صور الخيانة) . وثالثة يموت حبيبها بالسل وتلحق به بعد إصابتها بالمرض ذاته (ليت القدر يعفو حين يقسو) .

وقد تشوب الرومانسية واقعية اجتماعية عند نفر آخر من الكتاب ، كفؤاد ميخائيل وشاكر السعيد وكل منهما يمتاز بأسلوب جيد وتمكن من التعبير الجيد وتصور أقاصيصهما موضوعات مختلفة من الحياة لاموضوعاً معيناً ؛ مع اكتمال التجربة الشعورية عندهما ، وخاصة عند فؤاد ميخائيل الذي ينقل أحاسيس. البطل ومأساته إلى القارىء فيشاركه أحاسيسه وانفعالاته . وفي مجموعته (عيون الليل) الصادرة عام ١٩٥٣ م صور عديدة للمجتمع العراقي ، من أب يقسو في معاملة ابنه الشاب بتحريض من زوجه رفض الابن مطاوعتها على الاثم (عيون الليل) إلى أم تخشى على ابنتها الصغيرة أن تسلك طريق الخطيئة مثلها بحكم قسوة الظروف (من الهاوية) وشاب عاطل لايجد عملاً رغم الشهادة التي يحملها لأنه لايملك خطاب توصية (عودة) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٥ .

واستخدام الكاتب التحليل النفسي ضمن اطار اجتماعي في عدد من أقاصيصه (الندم ، الغريب) تصور الأخيرة عواطف صباغ أحذية تعرض إلى الإهانة من زبون « وخفض أحمد رأسه ثم حمل أدواته وخرج كانت السماء ترسل رذاذاً خفيفاً من المطر ، وكانت مصابيح الطريق تبدو غاضبة شاردة النور . وخيل اليه وهو يسير أن أشباحاً سوداء ترقص أمامه وتصرخ في وجهه — حمار — نعم إنه حمار لايربطه بالآدمية أي رابط ، وبدأ يتسلل إلى قلبه حقد هائل مدمر على الوجود ، على الكون ، على هذه الحياة التي يحياها » (١) .

ولكن القصص العاطفي المحلق في أجواء الخيال هو العنصر الأكثر شيوعاً في المجموعة : فتاة تخطف خطيب صديقتها وتترك صديقتها للموت حزناً (قلب ميت) ، وعاملة أرمل تستلم لرئيس العمل (الأجر الإضافي) وطفولة مشردة تقود إلى الجريمة (شجرة الذكريات) وشاب يؤدي به حبه الفاشل إلى الجنون (المجنون) .

أما شاكر السعيد في مجموعته (نفوس جديدة) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، فهو أكثر اغراقاً في الرومانسية من فؤاد ميخائيل وان جاء اسلوبه سلساً معبراً كإسلوب فؤاد .

وتبدو شخصياته شوهاء ،غير ناضجة أحياناً كما في أقصوصة (فكرة) حيث يخسر البطل — مرتبه في القمار فيسرق من خزانة الشركة التي يعمل فيها ويلقى القبض عليه . ويطرد — البطل — من العمل لأنه طالب مدير الشركة الأجنبي بزيادة الاجور ويودع السجن في أقصوصته (مظاهر كذابة) ولم يوفق المؤلف في تحليل انفعالات البطل في مسيرته من الشركة إلى الدار بعد فصله من العمل .

ويلجأ الكاتب إلى الاسلوب الخطابي مما يبعد أقاصيصه عن الواقع ويزيدها تكلفاً كما في أقصوصته (صوت مراكش) إذ يخاطب البطل — أمه قائلاً :

---

(١) عيون الليل ص ٤٥ .

« سأذهب إلى حيث ينتظر الوطن .إلى حيث يدعوني صراخ الحرية إلى حيث يموت الجسد وتعيش المثل العليا إلى حيث أبناء شعبي يكافحون .سأذهب يا أُماه ولتعلمي أن موتي شريف فباركيني ياأُماه وليكن الله في عونك وعون الأُمهات المنكوبات اللواتي فقدن أولادهن ». (١)

وتطغى المشاعر والعواطف في أقصوصته (التأمل الحزين) حيث يربط الحب بين قلب ـ البطل ـ وفتاة مسيحية مريضة بالسل يراها على الشاطئ. ويختم القصة بموت الحبيبة وهيام البطل على وجهه كما فعل مجنون ليلى . وتطلع علينا نفس العواطف والمشاعر في أقصوصتيه (لقاء في لونابارك) (حلم قصير) ويقتل خزعل الحارس المسن ولده لأنه حاول السطو على منزل لسرقته أقصوصة (خزعل) ويسقط منهكاً يقبل ولده المضرج بدمائه .

ومـــن أبرز كتاب الجيل الثاني في الاتجاه الرومانسي : كارنيك جورج ومحمد بسيم ذويب ومحمود محمد الحبيب .وسنعرض لانتاجهم القصصي.

كارنيك جورج :

أغرق كارنيك جورج نفسه في الحب ،فهو مادة أقاصيصه كلها في مجموعتيه (سهاد البريئة) الصادرة عام ١٩٤٨ و (دموع عذراء) الصادرة عام ١٩٤٩ .ولن تجد غير الحديث عن الحب واللقاء والقبل والمطاردة في الشارع ،وفي السينما .وبدأ الكثير من صور الحب التي عرضها القاص أقرب إلى العبث منها إلى الأقاصيص الناضجة . فهي تحليق في الخيال ،واسراف في المواقف الغرامية لايصدر الا عن مخيلة مراهق ،يحس الأشياء بأعصابه الملتهبة وينظر الامور بعيون جائعة (٢)

يعتمد جورج في أقاصيصه على الأحداث الغريبة والنهايات المفاجئة والتحليق في سماء الخيال .في (سهاد البريئة) يصور حباً عميقاً بين اثنين ،

---

(١) نفوس جديدة ص ٨٦ .

(٢) عبدالقادر أمين (القصص) ص ١٧١ .

ولكن الفتاة تحاول قطع خطوبتها بحبيبها والالم يحز في نفسها ويحاول الشاب أن يعرف السر في الأمر إلى أن تبوح له بأن عمها قد اغتصبها بعد أن وضع لها مخدراً في الشـراب .

إن هذا الحادث لايمكن وقوعه مطلقاً في العراق بالاضافة إلى جو اللهو والخمر الذي أطر به المؤلف أقصوصته ،إن الأغراق في المبالغة.وإيراد ما يناقض الحياة لايصلحان أبداً كأساس صحيح لاقصوصة فنية

ويمضي كارنيك في مجموعته الثانية (دموع عذراء) على طريقته في الأغراق والمبالغة بالاضافة إلى أن طابع السرعة في كتابة هذه الأقاصيص جليّ في اضطراب حوادثها وهلهلة اسلوبها .

يروى لنا في (رجلان وامرأة) أن شاباً يقع في حب راقصة ويقنعها بالزواج منه ، ثم يستأذن أباه في الزواج ويحكي له أبوه تجاربه مع زوجته وكيف انتهى الزواج بالطلاق ، ويحاول الابن معرفة أمه ، فيفاجئه الأب بقوله : (انها تلك التي كانت تتأبط ذراعك بالامس) وهي بعينها التي خطبها الابن لنفسه

كيف حدث ذلك وبهذه السرعة ؟ وكيف يتزوج انسان من أمه ؟ ، ان كارتيك جورج يعتقد ان القصة هي مجرد أحداث غريبة وغير معقولة.

وفي (الفريد) صورة لعبث الطلاب وتندرهم بزملائهم واستغلال ، الضعف في بعضهم للضحك واللعب . اذ يبعث زملاء (الفريد) اليه برسالة يوهمونه بأنها من فتاة متيّمة تسأله لقاء في السينما ويكتشـف بعد ذهابـه ان الحبيبة ليست الاّ زميلاً مقنعاً بثياب النساء وأقاصيص كارتيك جورج أقاصيص حب يائس لاأمل فيه تلفها رومانسية كئيبة مغرقة في الخيـال في) ذات السيارة الحمراء) يحب الشاب فتاة غنية ويحاول أن يفوز بعطفها فلا يجد سبيلاً غير رمي نفسه أمام سيارتها فيموت . وفي (رسالة شاعر)

يرسل العاشق إلى حبيبته رسالة حب بعد أن صدته عنها « ومضت أيام واذا بحبك يتحول إلى عبادة صامتة ،ولكن ماذا أفعل من الخير أن أبتعد، لأ بعد حي عن قلبك ، حبي الذي تحول إلى عبادة حبي الذي لاتؤمنين به ولا بوجوده » . (١)

يقول جورج في اقصوصة (بين ربيع وخريف) : « هذه القصة ، كتبت بطريقة جديدة في فن الاقصوصة . وهي أن يكون القارئ هو البطل فيها » . (٢)

تحب الخادمة الصورة التي تتطلع اليها سيدتها وتقفل عليها الصندوق وذات يوم تنسى السيدة المفتاح ، فتهرع الخادم إلى الصورة التي عشقتها دون أن تراها ، فاذا بها صورة قديمة لسيدتها .

لم نجد في الاقصوصة هذا الفن الجديد الذي ادعاه بل هي أقصوصة ، غريبة الحدث بعيدة عن الواقع مثل بقية أقاصيص المجموعة . ولا تقف الغرابة عند هذا الحد بل نجد الأب يغازل ابنته (معاون المدير) ، والاخ يعرض أخته على صديقه مقابل نقود (اغراء) .

ولايعطينا الكاتب الملامح النفسية الحقة للشخصيات بل يتكلم عنها من السطح وتبدو ثابتة غير متطورة .إنها نماذج ليست انسانية الخلق ولا الابعاد ولا تتصف بصفة الفرد المتحيز ،استخدمها لابراز الحدث والفكرة .وهو كرومانسي لايرى في الحياة الا جانبها القاتم المظلم ،ويجمح به خياله في معظم الأحيان بعيداً عن الأرض التي يحيا الناس فوقها رغم أنه يشعرنا بأن أقاصيصه حقيقية نقلها كما هي من الواقع أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين ،بحيث يبدو أنه لايكتب لنا الا ما يعرفه من الحياة أي مما توحي اليه به رغباته ومشاعره .

(١) كارنيك جورج (دموع عذراء) ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

محمد بسيم ذويب :

إن أقاصيص محمد بسيم ذويب صور ولوحات شاعرية رقيقة تخلو من الحبكة الفنية للقصة القصيرة ،يغلب فيها الموضوع على الشكل ،والقصة عنده تصاغ أحياناً في هيكل روائي لافي هيكل قصة قصيرة بحيث يخرج القاريء نتيجة للطفيليات وكثرة المسارب الجانبية وتعدد المواقف وفقدان التوقيت مشوشاً لايملك وحدة التأثير أو الانطباع ،ولا يخضع لتوتر نفسي وأحد من بداية القصة حتى نهايتها .

ويعني الكاتب بالدقائق والجزئيات الجانبية التي لاتغني ولا تفيد ولا تمت بصلة إلى الموضوع العام وتفرض على القصة فرضاً دون أن تكون لها ضرورة تلقي على القصة مزيداً من الضوء بل على العكس فإن هذه الفضلات كثيراً ماتطمس معالم الشخصية في قصة وتفسد توازن هيكلها .ومثلها في ذلك إطلالات الرأس والتدخل والتقريرية.

نظم محمد بسيم ذويب الشعر وهو في الخامسة من عمره (١) وأصدر أول كتبه وهو تلميذ في الكلية العسكرية عام ست وعشرين ،وتأثر في شعره بشعراء المهجر . وزاول كتابة القصة ونشر أول قصة قصيرة في جريدة الحديث الحلبية سنة ١٩٣٠ م،ونشر في الجرائد والمجلات العراقية الكثير من الشعر والنثر .

كتب مجموعته القصصية الأولى (آثام) الصادرة عام ١٩٥٧ باسلوب اخباري استخدمه المؤلف وقام مقام الوسيط بين الأبطال والقراء ،ولم يحسن الكاتب الربط بين الأحداث المتفرقة التي تتكون منها القصة .وفيها نهايات مدهشة وطرق خاصة من الموت بالسل والدهس ،لقتل الاشخاص الذين يريد أن يتخلص منهم الكاتب لغرض إنهاء القصة .

ويبدو تأثير المنفلوطي وجبران واضحين في كتابات الذويب ، فهي ،

---

(١) من رسالة الكاتب الى الدكتور داؤد سلوم .

مغرقة في الخيال والبعد عن الواقع . مؤطرة بحب بائس ونهايات مفجعه . متكلفة . في (بدلة العيد) لم تجد الأم من نهاية لشقائها وشقاء طفلها الا الموت غرقاً بعد أن يرد الجار الغني سؤالها ثوباً لابنها في العيد .

وتبادل الفتاة متبنيها الحب بصمت وتعترف له بعاطفتها وهي على فراش الموت بعد اصابتها بالسل في (قلبي لغيره) . وفي نهاية أب) يغتصب الرجل ربيبته فتنتحر ويصاب الأب بالجنون .

وتصطاد الأخت المتزوجة خطيب أختها فلا تجد الاخت غير طريق ، الانتحار في (أختي الصغرى) . وفي المجموعة صور لم يرسلها لنا الكاتب كما هي في قصة (نبوءة تحققت (و) الكلبة غرود) حيث تدس زوجة الأب السم لابن زوجها فيموت ويموت والده حزناً عليه ، وتنحدر ابنتها إلى الرذيلة ، وتصاب زوجة الأب بالعمى ، ولا تجد غير التسول طريقاً للعيش

أما اقصوصة (محنة زوجين) فقد رويت كما يروى الخبر التاريخي أو محاضر المحاكم ، بأحداث متشابكة بعيدة عن الواقع (١) .

ورغم تماسك اسلوبه تشيع فيه الخطب والنصائح مما يضعف الفنية في أقاصيصه : تخاطب المتسولة رجلاً غنياً رد سؤالها (أليس المال الذي ، تتمتعان به من تعب الفقراء أمثالي ومن قوتنا الذي احتكرته فمنعته عن أفراد الشعب الجياع ... فان كنت قد ورثته عن أبيك فهل تعلم كيف جمعه أبوك فكدسه في خزانته الخاصة أو في البنوك ... ماالخدمة التي قد قدمها أبوك أو تقدمها أنت لهذا الشعب الذي تستعلي على أبنائه) (٢) .

محمود محمد الحبيب

تحتوي مجموعته القصصية (صرعى) الصادرة عام ١٩٤٩ على عدد من الاقاصيص التي تدور حول العواطف الثائرة والحب اليائس وتنتهي

(١) داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ص ٩٩ .
(٢) محمد بسيم الذويب (آثام) ، ص ٣٥ ، من اقصوصة (بدلة العيد) .

نهايات فاجعة مؤلمة . ويمتاز اسلوب الكاتب بالقوة والمتانة ، لولا أنه يكثر من استعمال الصفات (أمي الكريمة ، والدي الكريم) مما يضعف الاسلوب القصصي الفني . كما أنه يستخدم الاسلوب الخطابي في الحوار وكأن البطل في حفل عام لا يتحدث إلى نفسه أو إلى شخص قريب منه .

(حرام يا هيفاء أن تظهري كل حركة حبيبة إلى القلوب وتغني شتى الأغنيات الساذجة البسيطة بلغة يفهمها أطفال في عمرك ..... لم ياابنتي تحرميني من احتضانها بعد عودتي مرهق الأعصاب ... بنيتي دنيا طفولتك مهشمة باردة وعواطفك مريضة خرساء وتصرفاتك اتجهت في رافد لايتغير بل يصب في حياتنا العناء والعذاب) (١) . ولم يحسن الحبيب رسم شخصياته فبدت ظلالاً باهتة لاحياة فيها ، بل وكأن جميع الشخصيات شخصية واحدة لاغير ، كلها تقع في الحب وتشقى وتتعذب وتنتهي نهايات مؤلمة .

في اللهب الأزرق) يحب الشاب فتاة مسيحية ويخطبها لنفسه ولكنها ترفض تغيير دينها خوفاً على مستقبل أختها الصغيرة وسمعة عائلتها . وفي (الضحية (يحب واصف ابنة عمه ولكن زوجة عمه تراوده وحين تيأس منه تحاول تزويج ابنة زوجها كي يبقى لها وحدها . ويكشف واصف لعمه سلوك زوجته فيطرده العم من الدار ، ثم يقع في غرام راقصة يتزوجها . وفي (الختام الدامي (يغرق سليم نفسه في الشهوات ويغتصب غجرية ، فتنتقم أمها منه بخطف ابنته الوحيدة التي يراها بعد سنين ترقص مع الغجر . وفي (رسالة شاعر) يموت الشاعر حباً ووجداً . وفي (ثورة في الريف) يقتل الريفي ابنته لأنها تكلمت مع شاب حضري بينهما حب متبادل . وفي (عالم الطفولة) تنتحر الطفلة الصغيرة لأنها تغار من أختها المولودة حديثاً . وقد حمل الكاتب الطفلة من العواطف ما لا يستطيع قلبها الصغير حمله ، بالاضافة إلى الصفحات الطوال التي استغرقتها مناجاة الأم لإبنتها المنتحرة .

---

(١) محمود محمد الحبيب (صرعى) ص ٥٨

مهدي السامرائي — عباس الجابري :

كاتبان مبتدآن تتسم أقاصيصهما في مجموعتيهما (الهياكل الصادرة سنة ١٩٤٥ و(دموع الماس (الصادرة عام ١٩٥٨ بالضعف الفني وتهافت الاسلوب وهزاله . وشخصياتهما لاتكاد تبين وسط ضباب العواطف الثائرة والانفعالات الهائجة .وكلها تدور حول موضوع واحد هو (الحب) الذي ينتهي نهايات قاتمة سوداء . والحديث في أقاصيصهما بعيد كل البعد عن واقع الحياة يقتنصانه من خيالهما الجامح .

يرتكب البطل جريمة قتل ،لأن حبيبته سرقها شاب غني يعيره دائماً بأنه لقيط(الأوراق الذابلة).ويقتل الزوج زوجته وصديقه انتقاماً لشرفه(نهاية قصة) وتموت الحبيبة وتتركه للدموع (مجد كاذب ، بثينة) .

أما في (دموع الماس)توقع — هيام — ابن عمها في حبائلها ويترك البطل حبيبته — سلمى — ويتزوج ابنة عمه ويقعده المرض نتيجة لتأنيب الضمير فتتركه زوجته،ثم تسرع اليه حبيبته سلمى وتكون إلى جانبه في محنته .وفي (الضمير) يقتل الأخ أخته بعد أن يجد رسالة غرام عندها ثم يكتشف براءتها فتنتحر .ويطالب صديقه الحكم باعدامه لأنه السبب في موت انسانين .

(وفي أحلام) يعود الحبيب إلى مدينته فيجد أن حبيبته التي عاهدته على الحب قد تزوجت .وفي) ابن العم (يقتل ابن العم عمه وزوج ابنة عمه،لأن عمه رفض تزويجه ابنته .فإذا كانت الرومانسية قبل الحرب الثانية لها مايبررها فإن استمرارها بعد الحرب لم يقدم للادب في العراق رافداً يخصبه .

— المراجع —

١ — جميل سعيد ،نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ،معهد الدراسات العربية القاهرة ، ١٩٥٤ .

٢ — داؤد سلوم الادب المعاصر في العراق مطبعة المعارف ،بغداد ،١٩٦٢.

٣ — شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد١٩٧٢.

٤ — صفاء خلوصي دراسات في الادب المقارن ،مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨.

٥ ـ عبد الاله أحمد، نشأة القصة وتطويرها في العراق مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٩ .
٦ ـ عبد القادر حسن أمين القصص في الادب العراقي الحديث مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٦
٧ ـ عمر الطالب الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، دار العودة بيروت ١٩٧١
٨ ـ عمر الطالب ، القصة العربية بين القومية والمحلية ، بحث القي في الجامعة العربية في مؤتمرها السنوي لعام ٩٧٢ .
٩ ـ محمد مندور ، الادب ومذاهبه ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .
١٠ ـ جريدة الاخاء الوطني العدد ١٨ ، لعام ١٩٣١ .
١١ ـ جريدة الأخبار ، العدد ٤٣٥ لعام ١٩٣١ .
١٢ ـ مجلة الاديب اللبنانية ، العدد العاشر لعام ١٩٤٦ .
١٣ ـ جريدة البلاد الاعداد ٤٥ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ لعام ١٩٣٠ العدد ٤١٦ لعام ١٩٣١ ، وعام ١٩٤٣
١٤ ـ مجلة الحاصد ، السنة الاولى ، كانون أول لعام ١٩٣٠ الاعداد ٢ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٤٢ السنة الثالثة عام ١٩٣٢ .
١٥ ـ جريدة السياسة ، العدد ٣٣١ لعام ١٩٣١ .
١٦ ـ مجلة عطارد ، العدد الأول آب ١٩٣٤ .

ـ المصادر

جميع القصص والروايات التي ورد ذكرها في البحث .

الدكتور عمر محمد الطالب
مدرس ـ قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة الموصل